ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة

ذكر القبض على الأمير منصور بن نوح وملك أخيه عبد الملك

في هذه السنة قبض على الأمير منصور بن نوح بن منصور الساماني، صاحب بخارى وما وراء النهر، وملك أخوه عبد الملك، وسبب قبضه: ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان، وعوده عن نيسابور إلى مرو الروذ، فلما نزلها، سار بكتوزون إلى الأمير منصور، وهو بسرخس، فاجتمع به، فلم ير من إكرامه وبرّه ما كان يؤمله، فشكا ذلك إلى فائق، فقابله فائق بأضعاف شكواه، فاتفقا على خلعه من الملك، وإقامة أخيه مقامه، وأجابهما إلى ذلك جماعة من أعيان العسكر، فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود، فلما اجتمعوا به، قبضوا عليه، وأمر بكتوزون من سمله فأعماه، ولم يراقب الله ولا إحسان مواليه، وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك، وهو صبي صغير، وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر، وماج الناس بعضهم في بعض، وأرسل محمود إلى فائق وبكتوزون يلومهما، ويقبح فعلهما، وقويت نفسه على لقائهما، وطمع في الاستقلال بالملك، فسار عنهما عازماً على القتال[1].

ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان

لما قبض الأمير منصور، سار محمود نحو فائق وبكتوزون، ومعهما عبد الملك بن نوح، فلما سمعوا بمسيره، ساروا إليه، فالتقوا بمرو آخر جمادى الأولى، واقتتلوا أشد قتال رآه الناس إلى الليل، فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما، فأما عبد الملك وفائق، فإنهما لحقا ببخارى، وقصد بكتوزون نيسابور، وقصد أبو القاسم بن سيمجور قهستان، فرأى محمود أن يقصد بكتوزون وأبا القاسم، ويعجلهما عن الاجتماع والاحتشاد، فسار

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٣٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٢٩)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٥/ ٣٦٨)، (٢٦/ ٣٥).

إلى طوس، فهرب منه بكتوزون إلى نواحي جرجان، فأرسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه، وهو: أرسلان الجاذب، في عسكر جرار، فأتبعه حتى ألحقه بجرجان، وعاد فاستخلفه محمود على طوس، وسار إلى هراة.

فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور، عاد إليها فملكها، فقصده محمود، فأجفل من بين يديه أجفال الظليم، واجتاز بمرو فنهبها، وسار عنها إلى بخارى، واستقر ملك محمود بخراسان، فأزال عنها اسم السامانية، وخطب فيها للقادر بالله، وكان إلى هذا الوقت لا يخطب له فيها، إنما كان يخطب للطائع لله، واستقل بملكها منفرداً، وتلك سنة الله تعالى يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء.

وولّى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصراً، وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية، وسار هو إلى بلخ، مستقر والده، فاتخذها دار ملك، واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كآل فريغون، أصحاب الجوزجان ـ ونحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ـ وكالشار الشاه، صاحب غرشتان[1].

ونحن نذكر ههنا أخبار هذا الشار، فاعلم أن هذا اللقب ـ وهو: الشار ـ لقب كل من يملك بلاد غرشتان، ككسرى للفرس، وقيصر للروم، والنجاشي للحبشة، وكان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك، وسلمه إلى ولده الشاه، وفيه لوثة وهوج، واشتغل/ والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء. ج٧/١٩٥ط

ولما عصا أبو علي بن سيمجور على الأمير نوح، أرسل إلى غرشتان من حصرها، وأجلى عنها الشاه الشار ووالده أبا نصر، فقصدا حصناً منيعاً، في آخر ولايتهما، فتحصنا به إلى أن جاء سبكتكين إلى نصرة الأمير نوح، فنزلا إليه وأعاناه على أبي علي، وعادا إلى ملكهما، فلما ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان، أطاعاه وخطبا له.

ثم إن يمين الدولة بعد هذا أراد الغزوة إلى الهند، فجمع لها وتجهز، وكتب إلى الشاه الشار يستدعيه ليشهد معه غزوته، فامتنع وعصى، فلما فرغ من غزوته سيّر إليه الجيوش ليملكوا بلاده، فلما دخلوا البلاد، طلب والده أبو نصر الأمان، فأجيب إلى ذلك، وحمل إلى يمين الدولة فأكرمه، واعتذر أبو نصر بعقوق ولده، وخلافه عليه، فأمره بالمقام بهراة متوسعاً عليه، إلى أن مات سنة اثنتين وأربعمائة.

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٣٠).

وأما ولده الشاه، فإنه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على أبي علي، فأقام به ومعه أمواله وأصحابه، فحصره عسكر يمين الدولة في حصنه، ونصبوا عليه المجانيق، وألحوا عليه بالقتال ليلاً ونهاراً، فانهدمت أسوار حصنه، وتسلق العسكر إليه، فلما أيقن بالعطب طلب الأمان، والعسكر يقاتله، فلم يزل كذلك حتى أخذ أسيراً، وحمل/ إلى يمين الدولة، فضرب تأديباً له، ثم أودع السجن إلى أن مات، وكان موته قبل موت والده. ج٧/١٩٦ط

ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للأزهري في اللغة بخطّه، وعليه ما هذه نسخته: «يقول محمد بن أحمد بن الأزهري قرأ عليَّ الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله إلى آخره، وكتبه بيده صح». فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية، فإن من يصحب مثل الأزهري، ويقرأ كتابه التهذيب، يكون فاضلاً[1].

ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك ما وراء النهر

في هذه السنة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين، وأيلك الخان التركي ـ واسمه: أبو نصر أحمد بن علي، ولقبه: شمس الدولة ـ فأما محمود، فإنه ملك خراسان، كما ذكرناه، وبقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر، فلما انهزم من محمود، قصد بخارى، واجتمع بها هو وفائق وبكتوزون وغيرهما من الأمراء والأكابر، فقويت نفوسهم، وشرعوا في جمع العساكر، وعزموا على العود إلى خراسان، فاتفق أن مات فائق، وكان موته في شعبان من هذه السنة، فلما مات، ضعفت نفوسهم، ووهنت قوتهم، فإنه كان هو المشار إليه من بينهم، وكان خصياً من موالي نوح بن نصر.

وبلغ خبرهم إلى أيلك الخان، فسار في جمع الأتراك إلى بخارى، وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة، والحمية له، فظنوه صادقاً، ولم يحترسوا منه، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقوّاد، فلما اجتمعوا، قبض عليهم، وسار حتى دخل بخارى يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة، فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده، فاختفى، ونزل أيلك الخان دار الإمارة، وبث الطلب والعيون على عبد الملك، حتى ظفر به، فأودعه بأفكند فمات بها، وكان آخر ملوك السامانية، وانقضت دولتهم على يده كأن

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٣٤)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٣٥، ٣٦) مختصراً.

لم تغن بالأمس، كدأب الدول قبلها، أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، وحبس معه أخوه أبو الحارث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله، وأخواه أبو إبراهيم، إسماعيل، وأبو يعقوب أبناء نوح، وأعمامه أبو زكريا، وأبو سليمان، وغيرهم من آل سامان، وأفرد كل واحد منهم في حجرة.

وكانت دولتهم قد انتشرت، وطبقت كثيراً من الأرض من حدود حلوان إلى بلاد الترك، بما وراء النهر وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً[١].

وهذا عبد الملك هو: عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل، كلهم ملكوا، وكان منهم من ليس مذكوراً في هذا النسب، عبد الملك بن نوح/ بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور، وكان منهم أيضاً: منصور بن نوح بن منصور، أخو عبد الملك، هذا الأخير الذي زال الملك في ولايته ولي قبله[٢]. ج٧/١٩٧ط

ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبي علي بن أستاذ هرمز بالأهواز في طاعة بهاء الدولة، وكان سبب ذلك: أن ابني بختيار لما قتلا صمصام الدولة، كما تقدم، وملكا بلاد فارس، كتبا إلى أبي علي بن أستاذ هرمز بالخبر، ويذكران تعويلهما عليه، واعتضادهما به، ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم، والمقام بمكانه، والجد بمحاربة بهاء الدولة، فخافهما أبو علي لما كان أسلفه إليهما من قبل أخويهما وأسرهما، فجمع الديلم الذين معه وأخبرهم الحال، واستشارهم فيما يفعل، فأشاروا بطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة، فلم يوافقهم على ذلك، ورأى أن يراسل بهاء الدولة، ويستميله ويحلّفه لهم، فقالوا: إنا نخاف الأتراك، وقد عرفت ما بيننا وبينهم، فسكت عنهم وتفرقوا، وراسله بهاء الدولة يستميله، ويبذل له وللديلم الأمان والإحسان، وترددت الرسل، وقال بهاء الدولة: إن ثأري وثأركم عند من قتل أخي، فلا عذر لكم في التخلف عن الأخذ بثأره، واستمال الديلم، فأجابوه إلى الدخول في طاعته، وأنفذوا جماعة من

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٣٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٣٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٥/ ٣٦٨، ٣٦٩).

(٢) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٣٥).

أعيانهم إلى بهاء الدولة، فحلفوه واستوثقوا منه، وكتبوا إلى أصحابهم المقيمين بالسوس بصورة الحال.

وركب بهاء الدولة من الغد إلى باب السوس، رجاء أن يخرج من فيه إلى طاعته، فخرجوا إليه في السلاح، وقاتلوه قتالاً شديداً لم يقاتلوا مثله، فضاق صدره، فقيل له: إن هذه عادة الديلم أن يشتد قتالهم عند الصلح، لئلا يظن بهم أنهم سلموا عن عجز أو ضعف، ثم كفوا عن القتال وأرسلوا من يحلفه لهم، ونزلوا إلى خدمته، واختلط العسكران، وساروا إلى الأهواز، فقرر أبو علي بن إسماعيل أمورها، وقسَّم الإقطاعات بين الأتراك والديلم، ثم ساروا إلى رامهرمز، فاستولوا عليها وعلى أرجان وغيرها من بلاد خوزستان.

وسار أبو علي بن إسماعيل إلى شيراز، فنزل بظاهرها، فخرج إليه ابنا بختيار في أصحابهما، فحاربوه، فلما اشتدت الحرب، مال بعض من معهما إليه، ودخل بعض أصحابه البلد، ونادوا بشعار بهاء الدولة، وكان النقيب أبو أحمد الموسوي بشيراز؛ قد وردها رسولاً من بهاء الدولة إلى صمصام الدولة، فلما قتل صمصام الدولة كان بشيراز، فلما سمع النداء بشعار بهاء الدولة، ظن أن الفتح قد تم، فقصد الجامع، وكان يوم الجمعة، وأقام الخطبة لبهاء الدولة.

ثم عاد ابنا بختيار، واجتمع إليهما أصحابهما، فخاف النقيب، فاختفى، وحمل في سلة إلى أبي علي بن إسماعيل، ثم إنّ أصحاب ابني بختيار قصدوا أبا علي وأطاعوه، فاستولى على شيراز، وهرب ابنا بختيار، فأما أبو نصر، فإنه لحق ببلاد الديلم، وأما الثاني وهو أبو القاسم فلحق ببدر بن حسنويه، ثم قصد البطيحة، ولما ملك أبو علي شيراز، كتب إلى بهاء الدولة بالفتح، فسار إليها ونزلها، فلما استقر بها، أمر بنهب قرية الدودمان وإحراقها، وقتل كل من كان بها من أهلهم فاستأصلهم، وأخرج أخاه صمصام الدولة وجدّد أكفانه، وحمل إلى التربة بشيراز، فدفن بها، وسير عسكراً مع أبي الفتح أستاذ هرمز إلى كرمان، فملكها وأقام بها نائباً عن بهاء الدولة إلى ههنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع رحمه الله[١].

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٦١) مختصراً، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٤٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٢٤١)، (٢٦/ ٢٤٤)، وذكره الروذراوري في «ذيل تجارب الأمم» (٣١٥-٣٢٨).

ذكر مسير باديس إلى زناتة

في هذه السنة، منتصف صفر، أمر باديس بن المنصور، صاحب أفريقية، نائبه محمد بن أبي العرب بالتجهز/ والاستكثار من العساكر والعدد، والمسير إلى زناتة، وسبب ذلك: أن عمه يطوفت كتب إليه يعلمه أن زيري بن عطية، الملقب: بالقرطاس ـ وقد تقدم ذكره ـ نزل عليه بتاهرت محارباً، فأمر محمداً بالتجهز إليه، فسار في عساكر كثيرة حتى وصل إلى أشير ـ وبها حماد بن يوسف عم باديس، كان قد أقطعه إياها باديس ـ فرحل حماد معه، فوصل إلى تاهرت، واجتمعا بيطوفت، وبينهم وبين زيري بن عطية مرحلتان، فزحفوا إليه، فكانت بينهما حروب عظيمة، وكان أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة عطائه، فلما اشتد القتال انهزموا، فتبعهم جميع العسكر، فأراد محمد بن أبي العرب أن يرد الناس، فلم يقدر على ذلك، وتمت الهزيمة، وملك زيري بن عطية مالهم وعددهم، ورجعت العساكر إلى أشير، وبلغ خبر الهزيمة إلى باديس فرحل، فلما قارب طبنة، بعث في طلب فلفل بن سعيد فخاف، فأرسل يعتذر إليه، وطلب عهداً بإقطاع مدينة طبنة، فكتب له، وسار باديس، فلما أبعد، قصد فلفل مدينة طبنة، وغلب على ما حولها، وقصد باغاية فحصرها، وباديس سائر إلى أشير. ج٧/١٩٨ ظ

فلما سمع زيري بن عطية بأنه قد قرب منه، رحل إلى تاهرت، فقصده باديس، فسار زيري إلى العرب، فلما سمع باديس برحيله، استعمل عمه يطوفت على أشير، وأعطاه أموالاً وعدداً، وعاد إلى أشير، فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد، فأرسل إليه العساكر، وبقي يطوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه، فلما أبعد عنهم باديس عصوا، وخالفوا عليه، منهم: ماكسن، وزاوي، وغيرهما، وقبضوا على يطوفت، وأخذوا جميع ما معه من المال، فهرب من أيديهم وعاد إلى باديس.

وأما فلفل بن سعيد، فإنه لما وصل إليه العسكر المسير إلى قتاله، لقيهم، وقاتلهم، وهزمهم، وقتل فيهم، وسار يطلب القيروان، فسار عند ذلك باديس إلى باغاية، فلقيه أهلها، فعرفوه ما قاسوه من قتال فلفل، وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوماً، فشكرهم، ووعدهم الإحسان، وسار يطلب فلفلاً، فوصل إلى مرمجنة، وسار فلفل إليه في جمع كثير من البربر وزناتة، ومعه كل من في نفسه حقد على باديس وأهل بيته، فالتقوا بوادي أغلان، وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها، وطال القتال بينهم، وصبر الفريقان، ثم أنزل الله تعالى نصره على باديس وصنهاجة، وانهزم البربر وزناتة هزيمة

قبيحة، وانهزم فلفل، فأبعد في الهزيمة، وقتل من زويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قتل من البربر، وعاد باديس إلى قصره، وفرح أهل القيروان؛ لأنهم خافوا أن يأتيهم فلفل.

ثم إن عمومة باديس اتصلوا بفلفل، وصاروا معه على باديس، فلما سمع باديس بذلك، سار إليهم، فلما وصل قصر الأفريقي، وصله أن عمومته فارقوا فلفلاً، ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيري، وذلك أول سنة تسعين وثلثمائة[١].

ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها إلى باديس

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب، فكاتب الحاكم بأمر الله بمصر، وطلب أن يسلم إليه طرابلس ويلتحق به، فأرسل إليه الحاكم يأنس الصقلي، وكان خصيصاً بالحاكم، وهو المتولي لبلاد برقة، فوصل يأنس، وتسلم طرابلس وأقام بها، وذلك سنة تسعين، فأرسل باديس إلى يأنس يسأله عن سبب وصوله إلى طرابلس، وقال له: إن كان الحاكم استعملك عليها، فأرسل العهد لأقف عليه، فقال يأنس: إنما أرسلني معيناً ونجدة إن احتيج إليّ، ومثلي لا يطلب منه عهد بولاية لمحليّ من دولة الحاكم، فسير إليه جيشاً، فلقيهم يأنس خارج طرابلس، فقتل في المعركة، وانهزم أصحابه، ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها، وكان قد قتل منهم في المعركة كثير، ونزل عليهم الجيش وحصرهم/ ، وأرسلوا إلى الحاكم ج٧ ١٩٩/ط
يستمدونه، فجهز جيشاً عليهم يحيى بن علي الأندلسي، وسيرهم إلى طرابلس، وأطلق لهم مالاً على برقة، فلم يجد يحيى فيها مالاً، فاختلت حاله، فسار إلى فلفل وكان قد دخل إلى طرابلس واستولى عليها، فأقام معه فيها، واستوطنها من ذلك الوقت، وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين.

وفي سنة إحدى وتسعين سار ماكسن بن زيري ـ عم أبي باديس ـ إلى أشير، وبها ابن أخيه حماد بن يوسف بلكين، فكان بينهما حرب شديدة، قتل فيها: ماكسن، وأولاده: محسن، وباديس، وحباسة، وتوفي زيري بن عطية بعد قتل ماكسن بتسعة أيام[٢].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، عاشر ربيع الأول، انقض كوكب عظيم ضحوة نهار[٣].

(١) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ١٨٦ ـ ١٩٠)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (٢٤٩ ـ ٢٥١).
(٢) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٤٤/ ١٩٠)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٢٥١، ٢٥٢).
(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٤).

وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة، وفرحاً كثيراً، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم، مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء، وسبب ذلك: أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب، وتعلق الثياب للزينة، اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم الغدير، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم، والنوح، وإظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك، بعد يوم الغدير بثمانية أيام، مثلهم، وقالوا: هو يوم دخل النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ الغار، وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء، وقالوا: هو يوم قتل مصعب بن الزبير[١].

الوفيات

وتوفي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد السرخسي المقري، الفقيه، الشافعي - وهو من أصحاب أبي إسحاق المروزي - وله رواية للحديث أيضاً، وكان شيخ خراسان في زمانه، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، والأدب على ابن الأنباري، ومات وله ست وتسعون سنة[٢].

وعبد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان أبو القاسم البزاز، المعروف: بابن حبابة، وكان شيخ الحنابلة في زمانه[٣]/ . ج٧ ٢٠٠/ط

(١) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٨٩ هـ) (٢٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٤)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٩٥)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ٢١١).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٩٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥)، وذكره ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (٤/ ٢٠٠)، وذكره ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٣/ ١٣١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٩٦)، وذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٧٧).